# الباب التاسع

# في

# الخروج عن مقتضى الظاهر

ما مضى فى الأبواب السالفة هى الأحوال التى يلاحظ فيها البليغ مقتضى ظاهر الحال ، وقد يعدل عنها لنكتة ، فعلى المخاطب ان يبحث عن سبب العدول مستعينا بالقرائن ويسمى ذلك ﴿الخروج عن مقتضى الظاهر﴾ .

وقد سبق ذكر شئ من أحواله نبهناك عليه فى حينه كتنزيل العالم منزلة الجاهل والمعقول منزلة المحسوس ، وقد بقى منه امور اهمها [1] تجاهل العارف ( مزج الشك باليقين ) وهواخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزداد تاكيدا والداعى اليه .

( ١ ) اما المدح كقول ذى الرمة :

**أبا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقى آ أنت أم امٌّ سالم** [2]

وقول ابى هلال العسكرى :

**أثغر ما أرى ام أقحوان وقدٌّ ما أرى أم خيرزان**

( ٢ ) واما الذم كقول زهير :

**وما أدرى وسوف اخال ادرى اقوم آل حصْن ام نساء**

( ٣ ) واما التعجب كقوله تعالي ﴿أفسحر هذا ام أنتم لا تبصرونَ﴾ .

( ٤ ) واما التوبيخ كقول ليلى بنت طريف الخارجية فى أخيها الوليد :

**أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف** [3]

( ب ) الالتفات وهو فن من البلاغة ملاكه الذوق السليم والوجدان الصادق ، ويلقب ( بشجاعة العربية ) لان فيه ورود الموارد الصعبة واقتحام مضايق الأساليب .

وحقيقته التعبير عن معنى بطريق الثلاثة ، التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها ، وذلك ست صور :

( ١ ) فمن التكلم الى الخطاب نحو : ﴿ مالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون ﴾ دون ﴿ ارجع ﴾ .

---

( ١ ) سماه ابن رشيق فى العمدة التشكيك وفائدته الدلالة على قرب الشبهين حتى لا يفرق بينهما ولا يخفى ما له من حسن الروعة وجمال الموقع .

( ٢ ) الوعاء وجلاجل والنقى مواضع .

( ٣ ) الخابور نهر بديار بكر يصب فى الفرات .

( ٢ ) ومن التكلم الى الغيبة نحو ﴿ انّا اعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ﴾ دون ( لنا ) .

( ٣ ) ومن الخطاب الى التكلم نحو قول علقمة بن عبدة العجلى :

طحابك قلب فى الحسان طروب بعُيد الشباب عَصر حان مشيب [1]

يكلفنى ليلى وقد شط ولْيها وعادت عواد بيننا وخطوب

وكان مقتضى الظاهر يكلفك اى القلب .

( ٤ ) ومن الخطاب الى الغيبة نحو : ﴿ حتى اذا كنتم فى الفلك وَجرْين بهم ﴾ دون ( بكم ) .

( ٥ ) ومن الغيبة الى الخطاب نحو : ﴿ والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فَسُقنْاه ) دون ( فساقه ) .

( ٦ ) ومن الغيبة الي الخطاب نحو : ﴿ مالك يوم الدين اياك نعبد ﴾ دون ﴿ اياه ﴾ .

ووجه حسنه ما ذكره الزمخشرى وهو ان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية وتجديدا لنشاط السامع وأكثر ايقاعا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد ، ومن ثم قيل لكل جديد لذة - وقد تختص مواقعة باللطائف كما فى سورة الفاتحة فان العبد اذا افتتح حمد مولاه الحقيق بالحمد عن قلب حاضر ونفس ذاكرة لما هو فيه بقوله : الحمد لله الدال على اختصاصه بالحمد وانه حقيق به وجد من نفسه محركا للاقبال عليه ، فاذا انتقل الى قوله رب العالمين الدال على إنه مالك للعالمين لا يخرج منهم شئ عن ملكوته قوى ذلك المحرك ، وهكذا كلماأجرى عليه صفة من تلك الصفات العظام قوى ذلك المحرك الى ان يؤول الامر الى خاتمتها المفيدة انه مالك الامر كله فى يوم الجزاء - حينئذ يجد من نفسه اقبالا عليه وتخصيصا له بالخطاب لغاية الخضوع والاستعانة به فى المهمات .

( جـ) الأسلوب الحكيم وسماه الامام عبد القاهر المغالطة ، وهو نوعان :

---

( ١ ) طحا ذهب وبعيد تصغر بعد وحان قرب والولى القرب وفاعل يكلف القلب اى يطالبنى القلب بوصل ليلى .

( ١ ) تلقى المخاطب [١] بغير ما يترتب بحمل كلامه على غير ما يريد نبيها على انه الأولى بالقصد كقول ابن حجّاج البغدادى :

**قلت ثقلت اذ أتيت مرارا ... قال ثقلت كاهلى بالايادى**
**قلت طولت قال لا بل تطولت ... وأبرمت قال حبل ودادى**

فلفظ ثقلت وقع فى كلام المتكلم بمعنى حملتك المئونا فحمله المخاطب على تثقيل عاتقة بالمنن والايادى .

( ٢ ) تلقى السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأهم كقوله تعالى ﴿ يسْئلُونَك ماذا ينفقون قلْ ما انفقتم قلْ ما انفقتم من خير فللوالدَينْ والاقربين واليتامى والمسَاكين وابن السبيل ﴾ فقد سألوا عن بيان ما ينفقون فاجيبوا ببيان المصاف تنبيها علي ان المهم هو السؤال عنها لأن النفقة لا يعتد بها إلا ان تقع موقعها .

( د ) الاضمار فى مقام الأظهار وذلك فى فى موضعين :

( ١ ) باب ضمير الشأن والقصة ، ويكون مرفوعا نحو . هى الدولة استعدت ، وهو الحق حصحص ، ومنصوبا نحو : ﴿ فانها لا تعمى الابصار ﴾ وسر هذا الأسلوب المبالغة وتعظيم تلك القصة وتفخيمها ، من قبل أن الشئ اذا كان مبهما كانت النفوس متشوقة الى فهمه متطلعة الى علمه ، فاذا وضح وفسر حل محلا رفيع القدر لديهما ومن ثمة لا يكون الا فى المواضع التى يقصد فيها التهويل .

( ٢ ) باب نِعم وبئس نحو : نعم رجلا محمد ، وبئس غلاما سعيد ، وانتصاب ما بعدهما من النكرات يجئ على جهة التفسير ، والداعى اليه المبالغة فى المدح او الذم من حيث انه عند الابهام يكون للأفئدة تطلع الى ايضاح المبهم وشغف الى بيانه .

( هـ ) الاظهار فى مقام الاضمار فان كان المظهر اسم اشارة كان .

---

( ١ ) المتلقى المواجهة والمخاطب بفتح الطاء اى تلقى المتكلم بالكلام الثانى المخاطب به وهو المتكلم بالكلام الاول .

( ١ ) اما لكمال العناية به لأجل اختصاصه بحكم غريب كقول ابن الراوندى [١]

كم عـــاقل اعـــيتْ مـــذاهبـــه وجـــاهل جـــاهل تلقـــاه مـــرزوقـــا
هذا الذى ترك الاوهام حـــــائرةً وصـيَّر العـالم النحـرير زنديقـا [٢]

فأتى باسم الأشارة لأجل الحكم البديع الذى اختص به المشار إليه وهو تركه الأوهام حائرة وتصييره لعالم التحرير زنديقا .

( ٢ ) وأما التهكم بالسامع كما اذا كان فاقد البصر فتقول له هذا الهلال بين السحاب .

( ٣ ) واما لاظهار بلاغته كأن غير المحسوس عنده محسوس نحو :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم .

( ٤ ) وأما لكمال فطانته حتى كأن غير المحسوس عنده محسوس نحو :

تعـاللت كي أشـجى ومـا بك علة تريدين قتلى قد ظفرت بذلك [٣]

أى بقتلى وكان من حقه ان يقول به لكنه ادعى ان قتله قد ظهر ظهور المحسوس وان كان المظهر غيراسم اشارة فأما :

( ١ ) لزيادة تمكينه فى ذهن السامع نحو : ﴿ الله الصمدُ ﴾ ونحو : ﴿ الحاقَّة ما الحاقة ﴾ وقول الحماسى :

شـــددْنا شـــدة الليث غـدا والليث غـضـبـان

( ٢ ) وأما للأستعطاف والخضوع الموجبين للشفقة كقوله :

الهى عـبـدك العـاصى أتاكـا مـقـرًا بالذنوب وقـد دعـاكـا

( ٣ ) واما لأدخال الروعة والمهابة فى نفس السامع نحو : ﴿ فاذا عزمتَ فتوكل على الله ﴾ لاندراج كل كمال تحت لفظ الجلالة فاجدر به ان يكون موضع التُكلان .

---

( ١ ) هو أحمد بن يحى الراوندى المتوفى ٢٩١ هـ اتهم بالزندقة ونسب اليه انه عارض القرآن واتى بما تضحك منه الثكلى .
( ٢ ) أعيت أعجزت ، ومذاهبه اى وسائل معيشته والمراد بالأوهام العقول مجازا مرسلا والتحرير العالم الثبت والزنديق من يبطن الكفر ويظهر الإسلام واسم الاشارة يعود الى الحكم السابق وهو حرمان العاقل ورزق الجاهل .
( ٣ ) تعاللت ادعيت العلة اشجى احزن .

( ٤ ) وأما للتهكم والتعجب نحو ﴿ ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا ﴾ .

ثم قال بعد ﴿ وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ﴾ فالغرض شد النكير عليهم والتعريض بانهم حقا أهل التمرد والعناد .

( و ) التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى للدلالة على تحقق وقوعه نحو ﴿ ونادى اصحاب النار ﴾ ، فقد جعل المتوقع الذى لابد من وقوعه بمنزلة الواقع ، ومثله التعبير عنه باسم الفاعل نحو . ﴿ وان الدين [1] لواقع ﴾ بدل يقع ، او باسم المفعول نحو ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس ﴾ بدل يجمع .

( ز ) القلب وهوجعل جزء من اجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه على وجه [2] يثبت حكم كل منهما للآخر ، وهو قسمان .

( ١ ) ما يكون موجبة تصحيح حكم لفظى فقط والمعنى صحيح بدونه كقول القطامى :

قفى قبل التفريق يا ضباعا ولا يك موقف منك الوداعا [3]

لما نكر موقفا وهو فى وضع المبتدأ وعرف الوداع وهو فى موضع الخبر جعل من باب القلب .

( ٢ ) ما يكون موجبه تصحيح المعنى كقولهم عرضت الناقة على الحوض ، وادخلت القلنسوة فى الرأس ، مكان عرضت الحوض على الناقة وادخلت الرأس فى القلنسوة اذ الأصل ان يجاء بالمعروض الى المعروض اليه وان ينقل المظروف الى الظرف لا العكس كما هنا .

والصحيح جوازه اذا اشتمل على مغزى شريف ومعنى حسن كقول رؤبة :

ومهمة مغبرة ارجاؤه كأن لون ارضه سماؤه [4]

يريد كأن لون سمائه لغبرتها لون ارضه . فعكس التشبيه لقصد المبالغة ، ونحنوه

---

( ١ ) أى الجزاء حاصل فوقوع الجزاء استقبالى .

( ٢ ) فان لم يثبت ذلك الحكم نحو فى الدار على ، وكلم محمدا على فان كلا منهما وان جعل فى مكان الاخر باق على حكمه . لا يسمى ذلك قلبا .

( ٣ ) قفى يا ضباعة ساعة حتى اودعك قبل التفرق فلا جعل الله لنا موقف الوداع موقفا .

( ٤ ) المهمة المفازة والمغبرة الملوءة بالغبار والارجاء النواحى .

قول ابى تمام يصف لم الممدوح :

**لعاب الافاعى القاتلات لعابه  وارى الجنى اشتارته ايد عواسل** [1]

وان لم يشتمل على اعتبار لطيف رد كقول عروة بن الورد :

**( فديت بنفسه نفسى ومالى )** .

( ح ) التغلب وهو اعطاء احد المصطحبين او المتشاكلين حكم الاخر ، وهو باب ذو شعب كثيرة ، فمن ذلك :

( ١ ) تغليب المذكر على المؤنث نحو ﴿ وكانت من القانتين ﴾ ادرجت مريم فى القانتين من الرجال تغليبا لهم على القانتات وقد جروا على خلاف الغالب فى الفاظ معدودات فغلبوا المؤنث على المذكر .

( ٢ ) تغليب الملائكة على القليل نحو : فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ، غلب الملائكة على ابليس وهو ليس منهم وسمى الجميع ملائكة .

( ٣ ) تغليب المعنى على اللفظ نحو : بل انتم قوم تجهلون ، بدل يجهلون الذى ضميره للقوم ولفظه غائب مراعاة للخطاب بأنتم .

( ٤ ) تغليب المخاطب على الغائب نحو أنت وعلى صنعتما كذا .

( ٥ ) تغليب احد المتناسبين على الاخر كالأبوين والقمرين للأب والأم والشمس والقمر ، وعليه قول المتنبى :

**واستقبلت قمر السماء بوجهها  فأرتنى القمرين فى وقت معا**

( ٦ ) تغليب العقلاء على غيرهم نحو : ﴿ الحمد لله ربِّ العالمين ﴾ .

( ط ) يوضع الخبر موضع الانشاء لأغراض منها :

( ١ ) التفاؤل فى الجمل الدعائية نحو وفقك الله الى ما فيه الخير ، وقول النابغة .

**اتانى ﴿ ابيت اللعن ﴾ انك لمتنى  وتلك التى اهتم منها وانصب** [2]

( ٢ ) التباعد عن صيغة الامر تأدبا واحتراما للسامع كما تقول لعظيم ( ينظر مولاى فى شأنى ويقضى طلبتى ) مكان انظر واقض .

---

( ١ ) الأرى العسل واشتارته جنته والعواسل جمع عاسلة وهى جانية العسل .

( ٢ ) ابيت اللعن اى ابيت ان تفعل شيئا تلعن به وكانت هذه تحية الملوك واهتم اصير لاجلها ذاهم والنصب التعب .

( ٣ ) التنبيه على تسير المطلوب وسهولته لوفرة الاسباب واستكمال العدة كما يقول القائد حاثا جنده : ﴿ تفتكون بالاعداء وتنزلونهم من حصونهم وتذيقونهم الردى ﴾ مكان افتكوا وانزلوهم واذيقوهم .

( ٤ ) اظهار الرغبة فى حصول المطلوب كما تقول فى الكتاب لغائب ﴿ جمع الله الشمل وقرب ايام اللقاء ﴾ .

( ٥ ) التنبيه على سرعة الامتثال ولو ادعاء نحو : ﴿ وإذ اخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ﴾ مكان لا تسفكوا مبالغة فى النهى بادقاء انهم نهوا فامتثلوا ثم اخبروا .

( ٦ ) حمل المخاطب على الفعل بالطف اسلوب كقولك لرجل لا تحب ان يكذبك ، تجئ غدا مكان قولك جئ لتجملة على المجئ لانه ان لم يات غدا صرت كاذبا من حيث الظاهر [1] لكون كلامك فى صورة الخبر .

( ى ) بوضع الانشاء موضع الخبر لاعتبارات منها :

( ١ ) اظهار العناية بالشئ والاهتمام به نحو ﴿ قل امر ربى بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد ﴾ لم يقل واقامة وجوهكم اشعارا بالعناية بالصلاة لعظيم خطرها وجليل قدرها فى الدين .

( ٢ ) التباعد عن مساواة اللاحق بالسابق نحو ﴿ قال انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه ﴾ لم يقل واشهدكم تحاشيا عن مساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى .

( ٣ ) الرضا بما هو حاصل كانه مطلوب فى قوله عليه السلام ﴿ من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ﴾ مكان يتبوأ .

( ك ) الانتقال من الماضى الى المضارع او بالعكس .

( ١ ) فالاول نحو ﴿ والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت ﴾ جاء تثير بدل اثارت لتستحضر تلك الصورة الماضية حتي كان الانسان يشاهد اثارة الريح للسحاب فيستدل من ذلك على عجيب قدرته وباهر حكمته .

---

( ١ ) اما فى الحقيقة فلا كذب لانه كلام فى معنى الانشاء .

( ٢ ) والثانى كقوله تعالى : ﴿ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض﴾ عطف ففزع على ينفخ تأكيدا للثبوت ومبالغه فى الحصول ودلالة على أن ذلك كائن لا محالة .

## تدريب اول

بين السر فى خروج التراكيب الآتية عن مقتضى الظاهر :

( ١ ) **كل خليل كنت خالته (لاترك الله له واضحة [١])**
**كلهم اروغ من ثعلب (ما اشبه الليلة بالبارحة [٢])**

( ٢ ) ( ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا [٣] من رحمة الله ) .

( ٣ ) ( واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود ) .

( ٤ ) **االذكر حاجتى ام قد كفانى حياؤك ان شيمتك الحياء**
**كريم لا يغيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء**

( ٥ ) **المع برق سرى ام ضوء مصباح ام ابتسامتها بالمنظر الضاحى [٤]**

( ٦ ) **وقالوا قد صفت منا قلوب نعم صدقوا ولكن عن ودادى**

( ٧ ) يقول العبد للمولى اذا حول وجهه عنه ، ينظر مولاى الى هنيهة .

( ٨ ) يكون مزاجها عسل وماء.

## الاجابة

( ١ ) وضع الخبر موضع الانشاء للدعاء عليه فى قوله لا ترك الله له واضحة .

( ٢ ) فيه التفات بالانتقال من الخطاب الى الغيبة في رحمة الله .

( ٣ ) فيه التفات بالانتقال من الخطاب الى التكلم .

---

( ١ ) الخليل الصديق والواضحة الاسنان تبدو عند الضحك .

( ٢ ) مثل يضرب لتشابه الامور .

( ٣ ) القنوط اليأس .

( ٤ ) الضاحى البارز .

( ٤ ) فيه التفات من الخطاب الى الغيبة .

( ٥ ) فيه تجاهل العارف .

( ٦ ) فيه الأسلوب الحكيم فقد حمل صفاء القلوب على خلوها من الود .

( ٧ ) وضع الخبر موضع الانشاء تأدبا فى قوله ينظر بدل انظر .

( ٨ ) فيه قلب والأصل يكون مزاجها عسلا وماء .

## تمريـــن

( ١ ) تـطـاول لـيـلـك بـالاتمـد ونـام الخلـى ولـم ترقـد [١]

وبـات وبـاتـت لـه لـيـلـة كـلـيلة ذى العـائر الأرمـد

وذلك من نبـأ جـاءنى وخـبـرته عن أبى الأسـود

( ٢ ) ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول .

( ٣ ) يسئلونَك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحجِّ .

( ٤ ) ويوم نسيِّر الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا .

( ٥ ) فلمـا ان جـرى سـمن عليـهـا كـمـا طينت بالفـدن السـيـاعـا [٢]

( ٦ ) وكمْ من قرية أهلكناها فجاءَها باسُنا نبَاتا .

( ٧ ) ثم دنا فتدلى :

( ٨ ) بكرا صـاحـبى قـبل الهـجـيـر ان ذاك النجـاح فى التـبـكـيـر

---

( ١ ) قاله امرؤ القيس والأتمد موضع والعائر مريض العين .

( ٢ ) الفدن القصر والسياع الطين المخلوط بالتبن وجواب لما فى البيت بعده .